

العلل الصارفة عن الحق إذا تبيّن

الإصدار (٥٣)



عادل أحمد الماجد

ح عادل أحمد سليمان الماجد ، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الماجد ، عادل أحمد سليمان

العلل الصارفة عن الحق إذا تبين / عادل أحمد سليمان الماجد -

الرياض ، ١٤٣٦هـ

٦٤ص ؛ ٢١ سم

ردمك : ٦-٣-٧٢٤٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الفقه الإسلامي أ.العنوان

ديوي ٢٥٠ ١٤٣٦/١٧٤٢



مركز الفكر المعاصر

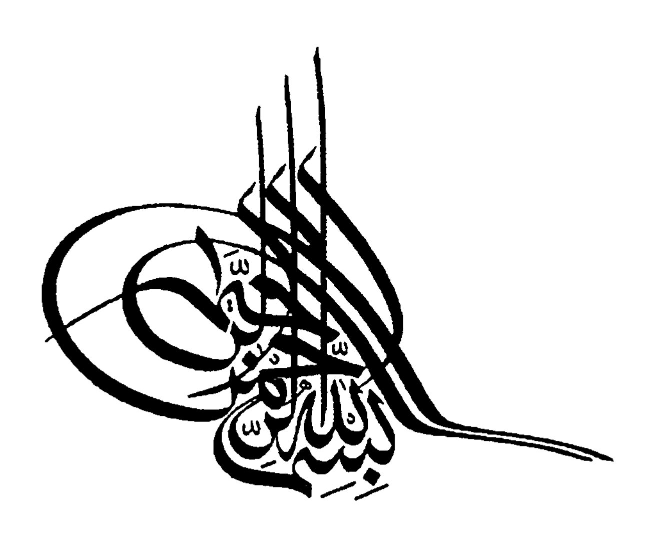
الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ

المملكة العربية السعودية – الرياض

markazalfekr@hotmail.com

٠٠٩٦٦٥٩١١٠٤٤٩٢



إهداء

إلى كل من يبحث عن الحق

مدخل

الحمد للَّه خلق وهدى، فخلق البَرَّ والفاجرَ، والمؤمنَ والكافرَ، والصالحَ والفاسقَ، والطَّيِّبَ والخبيث، وخص المؤمن والبر والصالح والطيب بالهداية، وكلما زاد المؤمن صلاحًا زاده اللَّه هدى؛ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى...﴾ [محمد: ١٧].

إنَّ عظيم خلق اللَّه وعجائبَ صُنعه ظاهرٌ للعيان، لا يختلف عليه الناس ولا يفترقون، لكن عظيم هدايته وعجائب توفيقه لعباده في أسرار الكون لا يطلع عليها إلا من شاء اللَّه ووفق للهداية، فقد هدى اللَّهُ خلقه هداية عامة ليقوموا بما يُصلح حياتهم ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وخصَّ بتحمُّل الأمانة الإنس والجن، فهداهم لشأن دنياهم، وجعل الهداية لشأن آخرتهم مِنَّة مِنْهُ لمن شاء، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. فهدى الرسل والأنبياء والصالحين والمتقين،

ثم خَصَّ مَن شاء بهدايات مفصلة لأنواعٍ من البرِّ والعبادةِ والرأي والمشورة، وهدى بعضهم لخير الخيرين، ومعرفة شر الشرين، وهدى مَنْ سألوه الهدايةَ للأفضل والأحسن والأكمل.

والصلاة والسلام على رسول الهدى الذي هداه ربه إلى كمال العبادة والخلق والخُلُق والرأي، فبرأه اللّٰه من الضلال وأسبابه في صغير الأمر وكبيره، ووفقه لهدى بعد هدى، فكان الرسولُ الكريم -عليه الصلاة وأزكى التسليم- يسأل ربه الهدى: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى ...**» (صحيح مسلم ٢٧٢١)، وكان يخشى البُعْدَ عن الهدى فيقول: «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» (صحيح مسلم ٧٧٠ - ٢٠٠)، وكان يلحُّ في طلب الهداية: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ...**» (سنن أبي داود ١٤٢٥).

وأنزل اللّٰه كتابَه هدى للناس، وجعله يهدي للتي هي أقوم، ففاتحة الكتاب تبدأ بالحمد والثناء والتعظيم والاستعاذة باللّٰه وحده لسؤال اللّٰه السؤال العظيم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وهذا الصراط خَاصٌّ بأهل النعمة

الحقيقية، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ثم تحذير من أعظم صوارف الحق: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ الذين لم ينتفعوا بعلمهم، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين عملوا بغير عِلمٍ ولا هُدًى.

وأجاب اللَّه المؤمنين بعد هذه الدعوة بـ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ هو الصراط المستقيم الذي سألتموه ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ لا شك أنه الهادي إلى صراطٍ مستقيم، ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ هو الهداية لمن أرادها، ثم تنزل القرآن الكريم حتى سورة الناس لبيان هذا الصراط المستقيم.

وسورة الفاتحة تقرأ ركنًا في الصلاة سبع عشرة مرة فرضًا على كل مسلم ليسأل ربه الهداية للطريق المستقيم، ولا ينصرف عنه مستكبرًا بعلمه أو ضالًّا بجهله، وكان النبي ﷺ مع نزول الوحي عليه وعصمة اللَّه له وثناء ربه عليه -وهو الهادي المهتدي- يُكثر من دعاء اللَّه بالهدى والهداية والسداد، وكان يدعو بدعوةٍ بعد رؤية الحق ورؤية الباطل، وهو الهداية لها بالقول والعمل: كما في الأثر **«اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه»**.

والوصول للحق ومعرفة الباطل والتفحص حتى بلوغ الصحيح ووضوح الخطأ هو هداية وتوفيق يكثر الحديث عنه والنقاش فيه؛ لذا جاء هذا البحث لدراسة الصوارف التي تصرف مَنْ وصل إلى الحق أن يقول به، وتصرف عن قول الحق في إبطال الذي ثبت بُطلانه، ومَنْ تجرَّدَ مع نفسه عَلِمَ أنه قد لا يقول الحق -أو لا يقوله كله، أو لا يقوله بوضوحٍ- لوجودِ موانع وصوارف قد يعلمها حينًا ولا يعلمها أحيانًا كثيرة، وربما تعلم من شخصٍ ما أنَّ ما قاله وما كتبه ليس هو الذي سمعته منه همسًا.

ولكن من قال بغير الراجح له لسبب شرعي ومانع مدرك يحصل به مصلحة شرعية أو يدفع بها مفسدة ظاهرة، فهذا لا يدخل في هذه الصوارف لأنه قال الحق باجتهاد سائغ.

هذه الصوارف هي جزءٌ من طبيعة البشر تؤثر على أقوالهم وأفعالهم، ومعرفة هذه الصوارف يجعل الإنسان يتعرف على نفسه وعلى غيره أكثر، وتكشف له ضعفه، وأنه بحاجة دائمة للهداية والتوفيق بأن لا يصرفه عن الحق صارف.

وحياتنا في أكثرها أفكارٌ وآراءٌ وأحكامٌ؛ لذا فحاجتنا لقول الحق -إذا اتضح لنا- كبيرة.

عندما نعرِفُ الصوارفَ ندركُ أنَّ ما نسمع وما نقرأ ليس دائمًا هو ما اقتنع به هذا القائل وهذا الكاتب، لكنه زوّرَ لصارف وصُرف لسبب.

وقد يكون مفتيًا، أو مفكرًا، أو كاتبًا، أو مثقفًا، أو أديبًا، أو صاحب جاه أو سلطان أو مال، وقد يكون مديرًا، أو موظفًا، وقد يكون إمامًا في مسجد، وقد يكون زوجًا أو زوجة أو بنتًا أو ابنًا، وكلهم معرضون لصارفٍ يصرفهم عن قول الحق الذي يعرفونه إلى قولٍ آخر.

إن إدراك الناس أنهم لا يقولون الحق لصارفٍ هو أمر شائع يعرفه الجميع، لكنهم يرونه دائمًا إما بسبب اتباع الهوى أو بسببِ الخوف.

والحقيقة أنه إلى جانب هذين السببين -رغم أهميتهما- عشرات الأسباب الصارفة التي يغفل عنها كثير من الناس. وفي هذا البحث ناقشنا ستة وخمسين صارفًا توزعت على أحد عشر عنوانًا.

وهذه التقاسيم للإيضاح والتبيين، وليست تقسيمات

حديّة لا تقبل التقسيم أو الدمج، ومنهجيّة السبر والتقسيم هي منهجية علمية متبعة في فروع العلم كله بلا استثناء.

آمل أن أكون قدمت رؤية جديدة ونافعة من خلال هذا البحث، والله ولي التوفيق والمسدد للصواب.

عادل أحمد الماجد

adelalmajd@gmail.com

الصارف الأول

صارِف الهَوَى

والهوى ميل النفس بلا برهان، ويتضح جليًّا عند فقدان العقل كالجنون، أو قصوره لمرضٍ عارض أو دائم كالسفيه وفاقد الذاكرة، أو عدم اكتماله كالأطفال، فهؤلاء جميعًا ترى من أفعالهم وأقوالهم أن الرغبة في الشيء والرغبة عنه هما المؤثران الوحيدان في قراراتهم وآرائهم مع تحييد العوامل الأخرى، وعدم الاكتراث بها، ولذلك رفع اللَّه ﷻ عنهم القلم، ولم يكلفهم بالعبادات، ويعذرهم الناس غالبًا في العادات، ويُلزم وليهم -شرعًا- بولايتهم والنفقة عليهم بل حقهم في الإرث يعطى لهم بعد رشدهم، ويتحمل الولي تبعات القاصر تجاه غيره فيلزم بتلفياته، ويخرج زكاته، وتجعل معظم الأنظمة والقوانين البشرية قاصر العقل تحت رعاية غيره وولايته، وتمتنع عن إقامة القوانين البدنية عليه، كل ذلك لأن (الهوى) هو الفاعل

الوحيد في تصرفاته الفعلية والقولية؛ ومن هنا أُخِذَ لفظ (الهوى) من الهُوِيّ وهو السقوط من أعلى بغير إرادة، والتعامل الصحيح مع (الهوى) يكون بالعقل والحكمة لأن اتباع (الهوى) ليس خطيئة دائمة، ولا جرم مستمر، وقد تكون الحكمة في اجتنابه أو في اتباعه، وربما في التحذير منه، أو في الترغيب فيه.

بل يمكن أن تجري عليه الأحكام التكليفية جميعًا من واجب وسُنَّة وإباحة وكراهة وتحريم، ولذلك كان الهوى أهم صارفٍ عن قول الحق، وأخذ نصيبًا كبيرًا من التحذير منه، ومن تأثيره على الميل عن الحق.

وهو يصرف عن الحق بعدة اعتبارات لا اعتبار واحد.

١- اتباع الهوى:

وهذا الصارف بُحِثَ كثيرًا وأُلِّفَتْ فيه الكتب، وتحاور الناس حوله طويلا، وهو يستحق كل هذا الجهد لأن اتباع الإنسان لهواه يجعله يترك الحق الواضح الجلي ويتبع الباطل المستبين، والفرد المتبع لهواه يضل ويشقى بقدر هذا الاتباع، ولا يتمكن من عالمٍ أو مفكرٍ أو زعيمٍ إلا كان سببًا في ضياع أمته؛ لذا جعل القرآن الكريم اتباع الهوى

إلهًا يُعبد من دون اللَّه فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وحَذَّرَ نبيَّه ﷺ من اتباع الهوى فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وحذره من اتباع هوى غيره فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

والحاكم يفسد بلده إذا اتبع هواه، والمفتي يفسد دين الناس، والتاجر يخسر تجارته باتباع الهوى، وهكذا اتباع الهوى يهوي بالناس في الضلال والخسران.

٢- تقصد مخالفة الهوى:

وهو صارفٌ لا يتُحدث عنه كثيرًا، ويُغفل عنه عادة لأن الحق والصواب يأتي حينًا موافقا للهوى ومتسقًا مع رغبات الفرد والجماعة، ويكون القول به والعمل بموجبه هو الحق أحيانا، لكن الخوف من الوقوع في الهوى يصرف البعض عن (الحق) إلى سواه، الذي يخالف الهوى، وهو العسر ومجانبة اليسر، ومراد اللَّه الكوني والشرعي، وهو: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] ومفهوم المخالفة أنَّ إتباع الهوى

المحمود مشروع لأنه بهدى من اللّه، وقد وصفت عائشة ﵂ اختيار النبي ﷺ فقالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ...» (صحيح البخاري ٣٣٦٧)، ولكن عندما يكون اليسر هو الهوى المذموم تكمل عائشة ﵂: «مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِن كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ».

٣- مخالفة الهوى كي لا يوصف به:

والخوفُ من الوصف بأنه يقول أو يفعل أو يرى رأيًا فيه ما يدل على (الهوى) يجعله يمتنع عنه حتى لو كان يرى أن الصواب في هذا (الهوى) وذلك حفاظًا على شخصيته التي ربما كان صارمًا في القيام بعزائم الأمور فيدفعه ذلك لمخالفة الحق في اليسر إلى العسر، وهذا ربما جمع مع المخالفة الرياء العملي طمعا في ثناء الناس على قوله أو فعله أو رأيه.

٤- مخالفة (الهوى) مخافة على غيره:

وهو تحمل لمسؤولية ليست له، فعندما يعلم بالصواب والحق بطرق صحيحة فواجبه تبليغه لاسيما إذا طلب منه، وليس له أن ينصرف عن الحق لأنه من اليسر ومما يوافق

الهوى عادة خوفًا على غيره من الناس أن يألفوا اليُسر، أو يعتادوا على ما يشتهون، وربما أفتى المفتي بشواذ الأقوال أو برأي مفضول ودليله ضعيف كي لا يقول بما يهوى الناس ويشتهون، وكم من آية من القرآن الكريم جاءت بـ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، أو ﴿أُحِلَّ لَكُمُ﴾ [المائدة: ٥]، وأحاديث كثيرة في الإباحة والسَّعَة.

* * *



الصارف الثاني

صارِف السلطة

كل من يملك صلاحيات على جزء من قراراتك يعد سلطة عليك، وأهمها وأكثرها نفوذًا السلطة السياسية التي تتمتع بصلاحيات كبيرة جدًّا تجاه أفراد مجتمعها، ولكنها ليست السلطة الوحيدة بل إنَّ كل مرجعيّة تمتلك صلاحيات تجاه قرارك هي سلطة، كالمدراء والرؤساء في الأعمال المختلفة، أو السلطات الإدارية التي تتعامل معها على اختلاف صورها، ويجمعها أنها (سلطة) كالزوج والأب والأم، وهي سلطة اجتماعية، ولها أدلتها الشرعية، وتصرف (السلطة) عن الحق وعن الصواب في عدة صوارف.

١- اتباع السلطة خوفًا ورجاءً:

اتباع السلطة بحقٍّ أو باطلٍ، بصوابٍ أو خطأ، إما خوفًا من غضبها ومن قوتها، أو رجاء رضاها، وطمعًا في عطائها، وهذا الصارف الحديث عنه كثير، حتى وصل

ببعض البشر إلى عبادة أسيادهم خوفًا منهم أو رجاءً، وقد يرزق الفرد ذكاءً وجدًّا في العلم ولكن ضعفه أمام أي سلطة تجعل منه رقمًا بسيطًا غير مؤثر، فهو رهين أي سلطة يلهث لإرضائها واتقاء سخطها، لذا لا يهمه من سخط إذا رضيت السلطة عن رأيه الذي خالف فيه الحق الذي توصل إليه.

٢- اتباع السلطة لخطأ في فهم معنى اتبعها:

وهو يتبع السلطة لا خوفًا ولا رجاءً ولكن فهمه للطاعة فيه خلل، فربما جعل الطاعة مطلقة بلا قيد، لا بقيد ما لم يكن معصية، ولا بقيد «إنما الطاعة في المعروف»، وربما خلط بين الطاعة العملية وبين الرأي، فمثلًا يحق للسلطة أن تأمر بالمفضول وترك الفاضل، فتستجيب عمليًّا لفعل المفضول ولكن هذه الاستجابة لا تغير القناعة بأن الفاضل في رأيك هو الأفضل والأولى، فسلطة الوالدين أو الإمامة طاعتها واجبة ولو بترك الفاضل إلى المفضول.

ومن خطأ فهم الطاعة أن يظن أن السلطة شاملة، ولو كانت محدودة في جانب واحد، فسلطة المرجع الإداري لا تنسحب على غيرها، فهي سلطة محدودة، وهكذا بقية السلطات التي تحيط بالفرد.

٣- اتباع السلطة بفرط التوهم:

وهو صارف ليس سببه الخوف من السلطة أو رجاءها، ولا خطأ في فهم طاعتها، ولكن توهم مفرط للمشكلات الكبرى لو خالفها في رأي أو موقف، فهو يرى رأيًا لكنه يخالفه استجابة للسلطة هلعًا من كوارث في ذهنه تلحق به إن قال ما يراه حقًّا وصوابًا، كزوجة تظن أن أسرتها ستنهار وتتفرق من أي رأي مخالف للزوج، أو موظف شركة يرى أن الشركة ستنتهي مع أدنى خلاف في وجهات النظر، أو مفتي يرى أن الدولة ستدخل في صراع أهلي ودماء لو خالف توجه الدولة في أي رأي.

٤- مخالفة السلطة لقصد المعارضة:

وهو نوع من الانصراف عن الحق سببه تقصد معارضة السلطة، ولو كان أوضح الحق معها لأنه صنف نفسه ضد هذه السلطة، فهو يخالفها دون بحث عن الحق؛ بل لو وجد الحق معها لعمد للمخالفة أيضًا، وربما كان معارضًا لسلطة سياسية أو سلطة إدارة أو سلطة أب أو زوج لكنه ينصرف عن الحق للمعارضة.

٥- مخالفة السلطة تظاهرًا بالاستقلال والشجاعة:

وهو ليس معارضًا لكنه يهوى الاستقلالية ويريد التعبير عن شجاعته بمخالفة السلطة والتميز عنها ولو كان الحق معها ؛ لأنه يعتبر مخالفتها فرصة للظهور والتميز ، في حين أن موافقة السلطة لا تعطيه تميزًا ؛ بل قد تفسر بالجبن والخوف ، وهو يخالف السلطة هربًا من هذه التهمة وليس لموقف من الحق والباطل .

٦- مخالفة السلطة مخافة الفتنة بها:

بعض السلطة سواء على شكل دولة أو وزارة أو شركة أو أسرة هي سلطة فيها إشكالات كثيرة ، فهو يخالف هذه السلطة حتى في الحق الذي تفعله أو تقوله ، لأنه يخشى أن يؤدي تأييده للسلطة في موقف أو رأي أن يفتن الناس فيوهمهم أن هذه السلطة على حق دومًا ، وعلى صواب مستمر ، ويشعر بأن أفعال وأقوال هذه السلطة التي خالفت فيه الحق سيخفيها ويغيرها موافقته لها في مسألة أو رأي وافقت فيه الصواب .

***

الصارف الثالث

الحزب والجماعة والقبيلة والمنطقة

وهذه انتماءات طوعية، وغالبًا ما يكون الانتماء لها إما قسريًّا أو شبه قسري من خلال تاريخ الفرد، والتحرر من هذه الانتماءات يبدو سهلًا، لكونها طوعية، إلا أنه من الصعوبة بمكان التحرر منها عمليًّا؛ بل إنَّ التحرر من (السلطة) ذات البعد الرسمي أسهل تحررًا من هذه السلطة الطوعية، وتصرف هذه الانتماءات بعدة صوارف.

١- موافقة الانتماء دومًا:

وهو سمة أكثر المنتمين يضعون انتماءهم فوق كل اعتبار، بل إنهم يشعرون أحيانًا بأن مخالفة الحق والصواب من أجل الانتماء يعبّر عن الانتماء الحقيقي وصدق الولاء، وأن مخالفة الحزب أو القبيلة لأي سبب خذلان للانتماء، ودليل على ضعف الولاء، ولذلك

ينصرف عن الحق وعن الحقيقة وعن الصواب تحقيقًا لهذا الانتماء.

٢- موافقة الانتماء حفاظًا على مكانته:

يحظى بمكانة عالية خلال سنوات طويلة جعلته شخصًا مهمًّا ومشهورًا في القبيلة أو الحزب أو الجماعة أو المنطقة، حتى صار معروفًا من خلال هذا الانتماء، ورغم أن الحق واضح له جدًّا ولا يهمه الانتماء ولا تماسك المنتمين إلا أنه ينصرف لغير الحق خوفًا على مكانته وأهميته، فيخشى إن قال الحق أو الصواب المخالف لرأي من ينتمي إليهم من قبيلةٍ أو حزبٍ أو طائفة أن تهتز الثقةُ به، وأن يفقد مكانته بينهم فيعمد من أجل ذلك لمخالفة الحق.

٣- موافقة انتمائه للحفاظ على التماسك:

هو لا يوافقهم لانتمائه ولا للحفاظ على مكانته لكنه يوافقهم -ولو خالفوا الحق- لأنه يخشى من تفكك هذا الانتماء لو خالفه، ويتوهم أنه إن قال الصواب الذي يخالفهم قدح في جمعهم وكسر تماسكهم؛ لذلك يعمد إلى موافقتهم دومًا للحفاظ على الانتماء والتماسك.

٤- تعمد المخالفة هربًا من الانتماء:

وهو سلوك يعبر عن موقف مسبق بأنه ضد الانتماءات كلها حتى ولو وافقت الحق، فبسبب موقفه المسبق يخالف ما قاله مَنْ ينتمي له على كلِّ حالٍ، لأنه يرى أن الموافقة في هذه الجزئية تعني تعزيز الانتماء والتحزّب، هذا الهروب المبالغ فيه من الانتماء يتسبب في مخالفة الحق والصواب وتعمد الخطأ.

٥- تعمد المخالفة لإثبات عدم الانتماء:

لا يشكل الانتماءُ له مشكلة ولا يعده عيبًا لكنه يتعمد مخالفة حزب أو جماعة أو قبيلة ليثبت أنه غير منتمٍ، وليبعد التهمة التي قيلت فيه، فحين يرى الحزب أو الجماعة أو قبيلته أو طائفته تقول حقًّا وتبطل باطلًا فإنه يقول بضده ولو علم أنَّ الحقَّ فيه، ليثبت أنه لا ينتمي، وليرد عمليًّا على من اتهمه، لذا أصبح رأيه ليس مع الحق ولا مع من قال به بل مع تبرئة نفسه مِن تُهمة الانتماء.

٦- تعمد المخالفة لإثبات عدم تأثره بانتمائه:

هو منتمٍ، ولا ينفي انتماءه، ولا يُقلقه مَنْ يَصفه بالانتماء، ولكن يعمد لمخالفة انتمائه ليثبت أنه لا ينساق

وراء انتمائه وأنه يخالف الجميع، ولكنه للأسف حتى لو رأى الحق معهم فإنه يخشى أنه إن قال بالحق الذي يقولون أن يوصف بأنه لا يستطيع أن ينعتق من حزبه أو قبيلته أو فئته أو منطقته، لذلك يخالف الحق الذي معهم لينجوَ من التعصب لهم.

٧- تعمد المخالفة لإثبات الاستقلالية:

قد لا يخاف من الوسم بالانتماء، ولا يهمه أن يتهم بأنه لا ينفك عن انتمائه لكنه يتكثر بالمخالفة ليثبت استقلاليته حتى يُعرف أنه مخالف، ويشار له بذلك، وقد يسعى البعض لإقناعه ويلتفت إليه عند كل قضية لنشوة المخالفة والشعور بالتميز فيجعله ذلك يخالف الحق وينصرف عنه.

٨- تعمد المخالفة لموقف آخر مختلف:

يكون المنتمي أحيانًا على خلافٍ مع قبيلته أو حزبه أو جماعته حول بعض القضايا، والخلاف مشروعٌ ومعتادٌ لأن الناس لا يتفقون عادة على التفاصيل لكن هو يحملُ هذا الخلاف إلى كل مناحي الحياة وجميع الآراء والمواقف، فإذا علم رأيًا أو موقفًا أو قولًا وهو يرى أنه صحيح ويتفق

معه، ولكن صرفه الخلاف في قضية أخرى عن قول الحق فيخالفهم، حتى لو كان هو على باطل، إما عنادًا أو تحديًا أو خشية أن يُفهم من موافقتهم أنه تنازل وتراجع عن ما خالفهم في قضايا أخرى.

* * *

الصارف الرابع

الناس

الناس.. قوة ضاغطة ومؤثرة، ولأنها لا تشكل تنظيمًا كالسلطة الملزمة السياسية أو الإدارية أو الاجتماعية ولا كالسلطة الطوعية مثل القبيلة والحزب والجماعة والطائفة والمنطقة، لذلك قلما يُلتفت إليها باعتبارها قوة ضغط أو وسيلة لتغيير القناعات وتبديل الرأي، والناس كائن متحرك متبدل يحتاج لقراءة دائمة ليمكن الاستفادة منه، والحذر من خطورته لمن أصبح الناس جزءًا مؤثرًا في حياته، وربما أنه لا يعلم أن رأيه وموقفه ليس الحق بل هو (الناس) وما يقولون؟ وكيف يتفاعلون؟ وما رأيهم برأيه؟ وما قولهم فيما يقول؟

لذا ينصرف الفرد بسبب الناس بعدة صوارف:

١- موافقة الناس ليرضوا عنه:

ويقع الكثير من هذا الصارف حين يكون رضى الناس همًّا له وأحد سياساته، وكلما فعل أو قال أو رأى رأيًا تلمّس آراء الناس وهل يرضيهم هذا أو يسخطهم؟ وربما عدّل أو بدّل أو غيّر من قوله وفعله لأن الناس لم ترض عنه، وقبل أن يقول أو يفعل يسعى ليعرف ما يطلبه الناس وما يريدون ليحدد ما يقول وما يفعل، ولو كان خلافًا لما وصل إليه من الصواب؛ لأن خطأه الذي يرضي الناس أحب إليه من صوابه الذي يغضبهم.

٢- موافقة الناس ليقبلوا الخير الذي معه:

وهذا لا يهمه أن يرضى الناس عنه وربما كان من المنكرين لذواتهم المؤثرين لغيرهم لكنه يريد أن يقبل الناسُ الخير الذي معه كالهداية والاستقامة أو المشروع الذي يحمله للناس أيًا كان، ولخشيته من انصراف الناس عنه، وأثر رأيه المخالف للناس في مشروعه الذي يحمله لهم، يسعى ليرضيهم ولو على حساب الحق والصواب، فهو يقتنع تمامًا بأمر لكنه يعمل بخلافه، ويقول للناس

عكس قناعته ليقبلوا الخير الذي معه، وكي لا ينفر الناس منه ثم ينفروا من مشروعه الذي ينفعهم فحبه لهم وحرصه عليهم هو الذي صرفه عن الحق والصواب.

٣- موافقة الناس لتحقيق ما يتوقعونه منه:

لا يهمه رضى الناس عنه ولا يهدف لتحبيبهم للحق الذي معه لكنه اشتهر بين الناس بمواقف وآراء وصفات جعلت الناس تتوقع منه ما اعتادوه عليه من التشدد، أو التيسير، أو الصدع بالحق، أو القوة، أو الهدوء، أو الحرص على الألفة وجمع الشمل . . ولكن في موقف معين وصل إلى الحق والصواب بخلاف ما عهد عنه؛ ولأنه لا يريد أن يفاجئ الناس ولا يصدهم، فإنه ينصرف إلى غير الحق الذي يراه، ويقول أو يفعل ما اعتاد الناس وتوقعوه منه.

٤- موافقة الناس لخطئه في فهم جمع الكلمة:

«جمع الكلمة» مصطلح عام فيه حق وباطل، لكن تتضخم عند بعض الناس أهمية جمع الكلمة حتى يترك الحق الجلي لجمع الكلمة في الباطل الواضح، وهو يدرك

أن قوله أو فعله أو رأيه مخالف للحق الذي توصل إليه، لكنه مخالف لأكثر الناس، وهو يخشى إن قال به أن يفرِّق الناس وتختلف كلمتهم لذا يتقصد المخالفة لغرض جمع الكلمة.

٥- موافقة الناس لكثرتهم:

عندما يصل لحقيقة تخالف أكثر الناس فإنه يصاب بالرهبة من قلة موافقيه وكثرة مخالفيه، فيجعله ذلك ينصرف عن الصواب الذي توصل إليه؛ لأنه يرى أن الناس وكثرتهم دليل على الصواب والحق، وهو ممتنع شرعًا، وممتنع عقلًا، وممتنع واقعًا، فإن كثرة الناس ليست دليلًا مستقلًا على القبول أو الرفض، فاللّٰه سبحانه وتعالى يقول عن أكثر الناس إنهم لا يعلمون، ولا يعقلون، ولا يشكرون، يقول سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦].

٦- مخالفة الناس لخطأ في فهم ذم أكثر الناس:

وبسبب ذم أكثر الناس في بعض الآيات في القرآن الكريم ظن أنَّ هذا دليل كافٍ لمخالفتهم دون النظر في طرق الوصول للحق والصواب، إذ إن ذم أكثر الناس بأن

باطلهم لا تحوله الكثرة حقًّا ، والحق لا ينقص بقلة أهله ، ولكن الحق قد يقول به أكثر الناس ولا تصح مخالفتهم لمجرد أنهم أكثر الناس فإنه صارف للحق .

٧- مخالفة الناس للتميز بينهم:

ولوجود هذه الظاهرة قال الناس قديمًا (خالفْ تُعْرَفْ)، ورغبة التميّز عن الآخرين صفة لكثير من الناس ، ولكن البعض تزداد عنده هذه الرغبة حتى يتبع الباطل ، ويقع في الخطأ ، وينصرف عن الحق والصواب من أجل أن يتميّز .

* * *

الصارف الخامس

الخصم

تعتبر الخصومة محكًا للعدل وحُسن الخلق؛ لأن الخصومة من أهم أسباب الانصراف عن الحق، ولذلك جاء في القرآن الكريم تخصيصًا لهذه الخصومة في مسألة العدل فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]، وفي شأن حُسن الخلق قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وتصرف هذه الخصومة بعدة صوارف.

١- المخالفة للحق بسبب الخصومة:

بسبب الخصومة يكون رأيه وموقفه ضد خصمه في حق وفي باطل، في صواب وفي خطأ، يخالف خصمه دون التمعن في حججه أو رجاحة رأيه.

٢- مخالفة الخصم خوفًا من جمهور الخصومة:

هو لا يخالفه لأنه خصم، بل هو قادر على تأييد خصمه إنْ رأى صحة رأيه لكنه يخالفه دومًا خوفًا من جمهور الخصومة، إما لسلطتهم عليه، أو خوفًا من فهم أن الخصومة زالت، أو أن تأييده لخصمه يعني أن الحق في الخلاف كان مع خصمه، كل هذا يدعوه لمخالفة خصمه دومًا إن أصاب أو أخطأ.

٣- تأييد خصمه خوفًا منه أو سعيا لشرف الخصومة:

ويمكن أن تكون الخصومة سببًا لتأييد الخصم في الحق والباطل وذلك عند الخوف من الخصم؛ إما لقوته، أو سطوته، أو سوء خلقه، أو كثرة جدله، فيحمله ذلك على تأييده في الحق والباطل، ويجعل تحييد خصمه علة فاعلة في رأيه وموقفه دون دراسة صواب العمل أو القول أو خطئه، وربما تسبب في ترك الصواب والانصراف عنه عندما يشعر أن شرف الخصومة الغالبة عليه تجعله يؤيد خصمه على أي حال ولو اتضح له أنه أخطأ، ويكون رأي خصمه فيه ورأي المتابعين في تعامله مع الخصومة هي التي تدفعه دائمًا للانصراف عن الحق والصواب والصحيح إلى ضده حفاظًا على شرف الخصومة المتوهمة.

الصارف السادس

الأتباع والمؤيدون

يتكاثر الأتباع والمؤيدون مع تعدد الإنتاج وكثرته، وطول الزمن معه، ورغم أن دوائر الأتباع متنوعة إلا أنه يمكن معرفة وصفهم وسماتهم، وربما تضيق الدائرة بمجموعة نعرف أعيانهم بل وسيرهم.

ولكن هل المتبوع يقود التابع دومًا؟ وهل المريد أسيرٌ لإمامه؟

هناك صراع -عادة- غير معلن بين المتبوع والتابع في القيادة، فالمتبوع يرى أنه محق في القيادة، فالأتباع جاءوا إليه ثقة فيه، ولأنه يستحق قيادتهم، والتابعون يرون أنهم نصروه وأيدوه وحملوا رأيه وقوله فليس له أن يتصرف كما يريد، بل هم الأحق بقيادته، لذا ينصرف المتبوع بعدة صوارف.

١- موافقة التابعين خوفًا منهم:

وهو نموذج من المتبوع الذي يقع تحت تصرف أتباعه، ويكون رضا أتباعه أهم أولوياته، فحين يصل لحقيقةٍ ما أو يجمع الأدلة والبراهين ويتضح له رأي، فإنه يفكر أولًا في مريديه وأتباعه ماذا سيقولون؟ وهل يرضيهم ما توصل له؟ أم سيغضبون ويعتبرون ما قاله زلة يجب أن يتراجع عنها؟ ومن المتبوعين من يقف أمام الحكام وأمام أنداده وأعدائه بقوة وحزم، لكنه يكون أمام تابعيه أو قلة منهم ضعيفًا مترددًا خائفًا.

٢- موافقة التابعين خوفًا عليهم:

ربما يكون المتبوع قويًّا مؤثرًا غير متأثر، لكنه يستجيب لأتباعه خوفًا عليهم بالتأثر من موقفه إن مدح من ذمه يومًا، أو قال بفكرة حذر منها سابقًا، أو رأيًا يقوله يؤيد خصومًا يخشى على تابعيه التأثر بهم، وربما خشي من انصرافهم عنه أو قلة عددهم.

٣- مخالفة التابعين كي لا يتبعهم:

وربما رأى المتبوع قولًا أو رأيًا لكن تابعيه سبقوه بقوله

واعتماده فيرى أن القول بقولهم ورأيهم يجعله تابعًا لا متبوعًا لذا يعمد لمخالفتهم، ويحاول أن يجد لمخالفتهم دليلًا وحجة ولو كانت ضعيفة مخافة أن يكون لهم تابعًا أو يشعرون إن قال بقولهم أنه لا جديد عنده.

***

الصارف السابع

الرمز

لأي مجتمع رموزه التي تنمو مع الزمن، وهم رموز في مختلف مجالات الحياة، من رموز الفتوى والعلم والسياسة، والرموز الاجتماعية، والتجار، ورموز الوعظ والإرشاد، ورموز الرياضة والفن، ورموز الثقافة والفكر، ورموز الإعلام وغيرهم، بعض هذه الرموز حقيقة وتستحق أن تسمى رموزًا، وبعضها رموز مزورة، لكنها تبقى رموزًا، وللرمز سطوته وقوته وأثره، وينصرف الناس عن الحق والصواب في الرموز بعدة صوارف.

١- اتباع الرمز وعدم مخالفته:

هي صفة لازمة لكثير من الناس تكون سطوة الرمز عليه كبيرة حتى يترك الحق والصواب الذي اقتنع به إلى قول الرمز ورأيه، وكثير منهم على قناعة نظرية بأن الخطأ يمكن أن يقع من كل أحد، لكنهم عمليًّا يرون الرمز على صواب دائم.

٢- اتباع الرمز خوفًا من الناس:

هو يعلم يقينًا أن القول بهذا الرمز خطأ أو مرجوح، ويرى أن مخالفته سائغة، لكنه يخاف من الناس -ولاسيما أتباع الرمز- أن يقولوا: خالف فلانًا ومن هو حتى يخالفه؟ وماذا يريد من مخالفته؟ لذا يؤثر السلامة من هؤلاء الأتباع، ويترك قوله ورأيه الذي يراه صوابًا إلى قولٍ ورأي الرمز ليسلم من الناس.

٣- اتباع الرمز حفاظًا على رمزيته:

يملك دليلًا على صواب رأيه وخطأ قول ورأي هذا الرمز، لكنه يرى أن مخالفته هي قدح في رمزيته، وربما شعر الناس بأن هذا الرمز غير جدير بمكانته، فهو -حفاظًا على ثقة الناس في الرمز ولعدم التشويش على مكانته- يتجه لموافقة الرمز في خطئه أو في قوله المرجوح.

٤- تأييد الرمز خوفًا من ابتهاج خصومه:

للرمز أعداء وخصوم كما له أتباع ومؤيدون، وقد يكون أعداء الرمز بسبب أفكاره التي يؤيدها تمامًا، عند ذلك سينصرف عن مخالفة الرمز ولو أخطأ خشية أن يفرح

الخصوم بتخطئته أو باختلاف الرمز مع مؤيديه لذا يسعى لقطع الطريق عليهم بتأييد الرمز ولو اتضح له أن الحق بخلاف قوله ورأيه.

٥- مخالفة الرمز لأنه رمز مضاد:

لأنه ضد أفكار وآراء هذا الرمز، فإنه يخالفه ولو رأى الحق الواضح عنده، فهو يخشى أنَّ تأييده يزيد في رمزيته ويُقوي شوكته ويصوب منهجه، لذلك يتقصد خلافه ولو أصاب لأن عداوته لهذا الرمز أصبحت هي معيار الحق والباطل.

٦- مخالفة الرمز اعتراضًا على رمزيته:

هناك رموز كثيرة خدمتهم الفرص -وربما الحظوظ أو العلاقات العامة- وقد لا يستحقون هذه الرمزية، أو أن إمكاناتهم أقل بكثير من مكانتهم، إذا أصاب هذا الرمز الذي يبدو مزورًا سعى لمخالفته حتى لا يعزز رمزيته المزورة، وربما يقول بخلاف الحق من أجل أن يعارضه، وربما خشي لو أيده لظن البعض أنه رمز يستحق الرمزية، أو أنه لا يعرف أنه مزور أو غيَّر رأيه فيه.

٧- مخالفة الرمز ليكون ندًا له:

وربما تقصد مخالفة الرمز ليكون ندًّا له ومساويًا، فيقال: قال فلان (المشهور) كذا وخالفه (فلان)، ويشعر بذلك بنشوة مخالفة الرمز واستقلاليته عن غيره، ويتكثر بمخالفة الرموز، ويشعر أنه إن وافق الرمز كان دلالة على ضعفه وتبعيته لغيره.



الصارف الثامن

المصطلحات

المصطلحات فيها المُحكمة مثل المصطلحات الشرعية: الإسلام، الشرك، المنافق، المؤمن، الصلاة، الحج، . . . ولها معانٍ لغوية، لكن الشرع حدد مصطلحاتها الشرعية، وهناك مصطلحات محكمة من جهة تعارف الناس عليها، بحيث إنه ليس لآحاد الناس الانفراد بفهم المصطلح مثل: الجمع والطرح في الرياضيات، والدولة والقارة في الجغرافيا، والقصيدة والقصة في الأدب، . . . وهكذا في سائر العلوم مصطلحات مستقرة مجمع -أو متفق- عليها ليس لأحد أن ينفرد بتغيير مفهومها، أو أن ينفي أنه يقصد ما اصطلح عليه عند ذكره لها، وثمة مصطلحات أخرى متشابهة يختلف الناس في صحتها، أو مفهومها، أو مقاصدها (وهي محل الصرف هنا) مثل: (الوسطية، التطرف، التساهل، التشدد،

الإرهاب، الوطنية، المساواة، . . .) وغيرها من المصطلحات التي تتجاذبها السياسات والأفكار والحروب الإعلامية، وتختلف باختلاف مستخدميها، واختلاف أزمانها، وتنوع التحالفات، ويضطرب البعض تجاه هذه المصطلحات حتى تؤثر في رأيه أو قوله من هذا الاضطراب:

١- عدم الاعتبار بهذه المصطلحات:

وعدم اعتبارها أو مراعاة وجودها يجعل الفرد يتجنب الحق الذي فيها، وينفر من أي صواب يدعم هذا المصطلح، ويعزز أي إشكال ولو موهوم لذمّ هذا المصطلحات، فعند سماعه لفظ (الوسطية) أو لفظة (التيسير) مثلًا يضطرب وينفي أي صواب يعزز هذين المصطلحين.

٢- تقصد تغيير مفهوم المصطلحات:

وهو نوع آخر من الانصراف عندما يفهم معنى المصطلح جيدًا لكنه يحاول أن يقوم بالتشويش على مفهومه محاولًا تفريغه من معناه، كإطلاق (الوثنية) على (الوطنية)

أو بجعل مصطلح (الإرهاب) مصطلحًا مرغوبًا فيه، أو يسمي فقه الاستدلال (فقه التشدد والانغلاق)، كل هذه تجعله يخفي الحق الذي في المصطلحات من أجل إسقاطها أو خلط مفاهيمها.

٣- تقديس المصطلح:

وهو صارف آخر عند البعض الذي يعيش في هوس المصطلح، وكلما أراد أن يقول أو يفعل شيئًا مرر قوله وفعله على هذه المصطلحات، فإذا توصل لقولٍ أو رأي قاسه على مصطلح (الوسطية) حتى لا يوصف بالتطرف، وإذا توصل إلى حكم فقهي واضح في مسألة خشي أن تكون من (فقه التيسير) أو (فقه التشديد) والرأي السياسي يُحجِم عنه لمصطلحات (الوطنية) أو موقفه من (نظرية المؤامرة).

* * *

الصارف التاسع

الآراء الوافدة

الآراء البعيدة مكانًا أو زمانًا أحد المؤثرات على واقع الناس دومًا ، والناس في تعاطي الآراء الوافدة مختلفون ومتفاوتون، وهذه الآراء هي قرائن في القبول والرفض، لكنها تتحول بسبب سوء التعاطي معها إلى صارفٍ من صوارف الصواب، ويبدل رأي البعض بمجرد وجودها .

١- تبجيل الآراء الوافدة:

النظر للقول والرأي الوافد سواءً كان تاريخيًّا بنقله عن أحد، أم جغرافيًّا جاء من دولة أخرى، أم رأي مؤسسة أو رابطة أو تجمّع يعتبره حجة لا يتجاوزها ، ولو وصل للحق الذي يخالفها ، لأن يبجل هذه المواقف والآراء، ويراها دليل على سعة اطلاعه التاريخي والجغرافي، وهمّه فيما يقول هو ماذا قال من مات؟ وماذا قال البعيد؟ وكيف يمكنه

أن يتوافق معهم؟

٢- انتقاء الآراء الوافدة:

وهو قبول وتقدير وافد لأنه وافد، ورفض آخر وافد أيضًا لأنه وافد، فمثلًا يحتج برأيٍ قديمٍ بحجة أنهم أعلم، ويرد رأيًا آخر لأنه عابر للقرون، ولم تكتمل عندهم العلوم، وجغرافيًّا الرأي البعيد لأنه محايد وغير متأثر بالواقع، ثم يرد رأيًا آخر من ذات المصدر ولا يحتج به؛ لأن قائله بعيد ولا يدرك إشكالات الواقع، هذا التحكم في التعامل مع الوافد يجعله حينما يصل لحقيقة ينظر هل تؤيد الوافد الذي يقبله عادة أم تؤيد الوافد الذي يرفضه، ويتعامل مع الحقيقة لا على أصولها العلمية بل بحسب موافقة الوافد له.

٣- مخالفة الوافد لأنه وافد:

مقياسه في قول الصواب والحق الذي قاله هل يوافق قولًا في التاريخ أو الجغرافيا، فإن كان كذلك توقف عن قوله وخالفه لئلا يكون رأيه وافدًا، فهو ضد الوافد سواءً وافق حقًا أو باطلًا؛ فالوافد عنده مرفوض لأنه وافد إما قناعة منه أو خوفًا من واقع يرفض ويسخر من الوافد.

الصارف العاشر

العقل

العقل مناط التكليف في الشرع، والعقل أداة من أدوات الوصول إلى الحقيقة، وهو آلة متفاوتة بين الناس، بل إن القدرة على استخدام العقل واستثمار طاقاته هو أحد معايير النجاح، ولأن العقل أداة فهي محدودة القدرات وليست مطلقة، وهناك علوم كثيرة يكون دور العقل في معرفتها فقط دون تحليلها أو الوصول إليها عبر العقل مستقلًّا، ولذلك تفاوت الناسُ في التعامل مع العقل للوصول للحقائق ومعرفة الحق والصواب عن طريقه، وتخاصم الناس في دور العقل ومهامه.

ويصرف العقل الإنسان بعدة صوارف:

١- اتباع العقل ولو في غير مجاله:

«كلامك يخالف العقل»، «هذا الرأي يتناقض مع العقل»، عندما يسمع هذه الكلمات يشعر بالخطأ

والهزيمة، فالرأي والقول هو للعقل فقط؛ لأنه حوّل العقل من أداة فهم وإدراك وتحليل واستنباط إلى مصدرٍ حاكمٍ، فخدم العقل بدل أن يستخدمه، والعقل -أيًّا كان- لا يستطيع إكمال خبر لا يعرفه، ولا إحضار معلومة لم تمر عليه، فضلًا عن إدراك غيبيات لم يشهدها ولم تأته بطريقة إخبارية صحيحة، وكثير من الحوادث والنتائج تأتي على خلاف ما تتوقعه العقول.

٢- إقحام الاستشهاد بالعقل:

في كل رأي أو قول ينظر في إمكانية الاستشهاد بالعقل، ويترك الحق والصواب الذي توصل له بحجة أن العقل ليس له نصيب في هذا الرأي، وأحيانًا يدخل العقل في رأي بطريقة غير معقولة فيستخدم العقل بغير العقل.

٣- مخالفة العقل نفورا منه:

الرأي والقول المدعم بالعقل ينفر منه ويعتبره إشكالًا في منهجية الوصول للحقيقة والصواب، فهو ينفر من عقل ومعقول وعاقل وكل ما يتصل بالعقل، وقد يؤيد القصص المنكرة والأخبار الشاذة والأقوال المثيرة،

لأنه يرى أن العقل يشنعها ، لذلك يرى اتباعها من المنهجية الصحيحة .

٤- الهروب من استخدام كلمة العقل:

ليس بينه وبين العقل خصومة ، ويتبعه في مجاله ، لكنه يهرب من كلمة (عقل) ومشتقاتها فأحيانًا يقول بالنظر وبالواقع وبطريقة صحيح ، وغيرها من الألفاظ التي تعني العقل ، لكنه يهرب منها تجنبًا لاستخدام اللفظ .

* * *

الصارف الحادي عشر

الطبيعة الشخصية

لطبيعة الإنسان وصفاته أثر في حياته كلها، ومنها رأيه وموقفه وأقواله، والطبيعة الإنسانية بعضها غريزي، وبعضها مكتسب من خلال النشأة في الأسرة والأصحاب وطبيعة المنطقة والتعليم؛ لذا فالطبيعة الشخصية تصرف عن الحق بصوارف كثيرة جدًّا وهي من الأمور التي يصعب حصرها؛ لذا سنكتفي بذكر بعضها مما يمكن أن يؤثر أكثر من غيره.

١- الحب والبغض:

هما صفتان لا يخلو منهما إنسان، وكلاهما -بلا شك- ذات أثر كبير على الإنسان، قد يحب المرء أو يكره شخصا أو دولة أو شعبًا أو أسلوبًا أو غير ذلك، فهو حينما يصل للصواب والحق ويراه يوافق من يكره فإنه

يخفي ما وصل إليه ويسكت عنه، أو يقول ما يخالفه، وكذلك لو توصل إلى خطأ قول من يحب فإنه بسبب هذه المحبة لا يظهر التخطئة له، وربما حاول تصويبه مقدِّمًا حبه على الحق.

٢- اللِّين والحزم:

يتسق كثير من الناس في اختياراتهم وآرائهم مع طبيعتهم من اللين والحزم، ويؤثر ذلك في صرفهم عن الصواب الذي يرونه عندما لا يتفق مع طبيعتهم، فكلمة (جائز) و(موافق) و(جميل) ثقيلة على صاحب الحزم، صعوبة كلمة (حرام) أو (غير موافق) لصاحب اللّين.

٣- الموقف من الغرائب:

طبيعتنا في التعامل مع الغرائب والشواذ من الأقوال والآراء والأفكار تصرفنا أيضًا، فربما يحب المرء الغرائب ويسعد كثيرًا بقراءة عجائب الأفعال وشواذ الأقوال، فيدفعه هذا الحب لجمع الأدلة لغريب القول والرأي، وإذا توصل لرأيٍ راجح واضح ليست فيه غرابة فتر حماسه عن البحث وتتبع الردود على هذا الرأي، وإذا عجز سكت عنه، وربما

كان صارفه كرهه للغرائب وبعده عن العجائب حتى لو ثبتت عنده بأدلتها ووضوح صحتها لأنه ينفر من الغريب، وكلما علم بقولٍ مهجور هجره ولو كان يعلم صحته عن قناعة.

٤- الإقدام والإحجام:

الشخصية التي فيها شجاعة وإقدام تميل عادة للآراء والأفكار التي فيها تحدي ومنافسة، ولا تحب الآراء والمواقف التي فيها مهادنة وشعور بالضعف، ولو كانت صحيحة، في حين ترغب شخصيات أخرى فيها إحجام بالآراء والأفكار المهادنة التي تتسم بالرفق وليس فيها تحدٍّ لأحد، ولا قتالية مع الخصوم، فعندما يبحث أو يفكر في رأي أو مشورة يبتعد لا شعوريًا عن أي نتيجة فيها قوة وإقدام، مما يصرفه عن الحق والصواب.

٥- القطع والتردد:

الشخصيات المترددة تميل للآراء والأفكار والاقتراحات المفتوحة التي لا قطع بها، فرأيه يمكن أن يُفهم بعدة طرق ولا يجيد رأيًا أو قولًا قاطعًا واضحًا، ولو توصل له لما قاله كما هو، ولصاغه بعبارات مترددة

ضعيفة، والشخصية القطعية رأيها وأفكارها باتة نهائية حتى لو كانت المسألة تحتاج لتروٍّ وأناةٍ، فهو لا يطيق غير الجزم والإنهاء.

٦- الثبات والتغير:

الذي تشغله مسألة الثبات ويجد أن التغيّر عيب ومذمة يبقى أسير ما قال، وتحبسه كلمة (غيّر رأيه) عن قول الحق والصواب، بل حتى لو قال رأيًا ثم تحقق أنه أخطأ فيه لم يبين ذلك تمسكًا بالثبات، وآخر يهاجم الثبات ويرى أن التغيّر سنة، وأن الثبات جمود وتقليدية، فهو يقلق من رأي أو قولٍ ثابتٍ عنده، ويسعى لتغييره، وينشط في البحث عن ما يخلخل رأيه الأول، ويسابق الزمن ليتغير، وربما ترك حقًّا وصوابًا كي يتغير.

٧- العِنَاد والتَّسَامُح:

قد يؤثِّرُ التسامحُ على الحق والصواب إذا حضر في غير وقته وجاء على غير وجهته، وربما حبس حقًّا، وأقرَّ باطلًا بدعوى التسامح، والعناد وَثَاقٌ لصاحبه، يخسر الحق ويخسر الوقت، وربما خسر الناس من أجل العناد، وهو

يرى الحق واضحًا جليًّا ليأتي العناد ويجعله ينصرف إلى غيره.

٨- التخصص:

يأسر التخصص كثيرًا من الناس، ويجعله حبيسًا لتخصصه بدلًا من مستثمر له، ولأنه يحب تخصصه ويؤمن به فهو يقيس الحق والباطل عن طريقه، وكل حق لا يرتبط بتخصصه يسعى لربطه به ما استطاع، فإن عجز أخذ باطلًا يرتبط بتخصصه، وعندما تُثار قضية أو مسألة يُرجِعُ أصلَها لتخصصه ولو تَعَسَّرَتْ، ويجعل من التخصص الذي درسه أو تحصَّلَ عليه معيارًا يحكم من خلاله فيصرفه عن الحق.

٩- التعجّل:

يتعجّل برأي أو فعل ثم يتضح له خلافه، ولأنه كثير التعجّل لا يريد الاعتذار كل مرة، فهو يبحث عن أدلة تؤيده ولو كانت ضعيفة لا حجة فيها، فهو لا يريد أن يوصف بالتعجّل ولا أن يوصف بالمخطئ، لذلك يوصف دوما بضعف الحجة وهزال المنهجية في الاستدلال.

＊ ＊ ＊

من نتائج معرفة الصوارف

أولًا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ولا غيره أحد (قدوة) للناس؛ لأن كمال الهداية والاستقامة تحققت له بالعصمة، وغيره معرض للصوارف على اختلافها، ولا يعرف الحق بأحد غير رسول اللَّه ﷺ وبقية الناس يفتقرون إلى دليل.

ثانيًا: تقديس الأشخاص وإعطاؤهم منزلة فوق منزلتهم من الضلالات التي توجد في كل أمة، ومعرفة هذه الصوارف تجعلنا ندرك أنَّ الإنسان مهما بلغ من العلم والحرص فهو معرَّض لصوارف كثيرة؛ لأن الضعف والقصورَ جزءٌ من كل إنسان.

ثالثًا: هذه الصوارف لابد أن تبصّر الإنسان بنفسه، وأنه بحاجة لمن ينصحه ويناقشه، وعليه أن يدرك ضعفه وتأثره بهذه الصوارف، وأن الحق الذي يقول به الآن قد يتبدل

يومًا، أو يتغير لحجة، فلا يُفرط في ثقته بنفسه، ولا يفرّط في حقوق غيره إذا وصلوا للحق دونه.

رابعًا: هذه الصوارف ينبغي أن تجعلنا متوازنين مع أنفسنا وغيرنا، فلا نبالغ باللوم والعتاب، وأن نعرف أنَّ الصارف يقع على كل أحد.

خامسًا: معرفة هذه الصوارف تحثنا أن نتعاذر، لأننا جميعًا معرّضون لها، وأن الخطأ يَرِدُ كثيرًا بغير خيارنا، وأن بعض الباطل نقوله لأننا مصروفون عن الحق.

سادسًا: ليست كل الصوارف تعرض لكل إنسان، فبعض الصوارف تحضر عند فرد وتغيب عن آخر، أو تقع في بلد وتغيب عن آخر، أو في زمان دون زمان، فالصارف الذي لا يعنيك قد يعني غيرك.

سابعًا: قد تدرك بعض هذه الصوارف في نفسك، وتعلم أن هذا هو الذي صرفك، وقد لا تعلم ما الذي صرفك فتقول أو تكتب خلاف ما تعتقده.

ثامنًا: قد تذكر أحدًا عندما تقرأ صارفًا، وقد يذكرك غيرك عند صارف آخر، فهي تتوزع بين الناس؛ ونتيجتها واحدة، صرف عن قول الحق، وعن بيان الباطل.

تاسعًا: الانحرافات الفكرية والعقدية تجعل بعض هذه الصوارف حقًّا لدى البعض يجب اتباعه، كالذي يقدّس العقل، أو يرى عصمة الأئمة، أو الذي يرى أن تكون مع شيخك كالميت مع مغسله.

عاشرًا: علاج الخلافات لا يكون معرفيًّا فقط، فلابد أن ندرك أن من أسباب الخلافات فيها جوانب إنسانية وتربوية ونفسية وبيئية، وأن الدليل والإقناع والتكرار ليس حلًّا دائمًا لكل خلاف.



الفهرس